التشكيلي العراقي عامر العبيدي: قبل أربعين عاماً لا يوجد فنان في مدينة الطائف

التشكيلي العراقي عامر العبيدي أحد رواد التشكيل في العالم العربي، قبل أربعين عاماً جاء إلى السعودية وتحديداً إلى مدينة الطائف بقصد تدريس أبناء تلك المنطقة الفن.. في هذا الحوار يلقي الضوء على تلك المرحلة وما بعدها، ويكشف لنا عن قصة تنقلاته وغزارة إنتاجه الفني وتجاربه الواسعة..

من خلال اطلاعي على معلوماتك الشخصية وجدت بأنك كنت قبل أربعين عاماً تدرس الفن في السعودية حدثنا عن هذه المرحلة وماذا تتذكر منها؟ وما أبرز ما أنجزته في تلك الفترة؟

- نعم هذا صحيح، في سنة 1968-1969 تعاقدت للتعليم في مدارس المملكة العربية السعودية من خلال اللجنة التي كانت تعمل في السفارة السعودية في بغداد. وعندما توجهت إلى المملكة وتحديداً إلى مدينة الطائف تم تعييني في متوسطة عكاظ للبنين، حيث درست في نفس المدرسة لمدة ثلاث سنوات وفي السنة الأخيرة تم تنسيبي إلى ثانوية (ثقيف) ومن خلال السنوات الثلاث كان قسم من الطلبة لهم المواهب الملموسة في كل من مجال الرسم، والخط العربي، والحفر على الخشب، حيث حصلنا على المركز الأول على مدارس مدينة الطائف من خلال مجموعة أعمال لطلبة متميزين في المجال الفني.

وفي نفس فترة السنوات الثلاث أيضاً قررت القيام بزيارة مكة المكرمة عشرات المرات والمدينة المنورة وجدة والرياض ولكن للأسف لم أتعرف على فنان سعودي في تلك الفترة.

ثم في سنة 1969 أقمت معرضاً لأعمالي في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة والذي كان تحت رعاية أمير المنطقة في تلك الفترة ومن خلال هذه الفترة رسمت عشرات اللوحات وبعت مجموعة منها على بعض من الأساتذة البريطانيين الذين كانوا يسكنون معي في نفس الفندق والذي يعرف آنذاك بفندق الطائف.

في تلك الأيام كانت المدارس تهتم في مادة الفنية وكانت وقتها الإمكانات المدرسية جيدة جداً، حيث أذكر أن المواد الفنية اللازمة والأساسية منها كانت متوافرة في معظم المدارس من حيث توافر المواد الأولية والألوان والأخشاب وكافة مستلزمات العمل الفني، وكان إقبال الطلبة على درس الرسم جيداً، لكن من وجهة نظري لم يكن هناك فنان محترف في

مدينة الطائف آنذاك ربما كان هناك فنانون لهم الخط في الاحتراف والتميز في مدينة الرياض أو جدة ولكن لم تتسن لي الفرصة كي اطلع على أعمالهم بشكلٍ مباشر أكثر.

وكيف كان الفن السعودي في ذلك الوقت؟

- اعتقد أن الفنان السعودي بدأ يسلك طريقه في الوسط الفني السعودي الآن؛ حيث اطلعت على أعمال بعض الفنانين السعوديين من خلال الإنترنت فوجدت بعضهم قد حقق أسلوبهِ الفني الخاص الذي لا يقترن بفنان آخر في المملكة أو في المنطقة العربية بشكلٍ عام، وأعتقد هذا شيء هام جداً لبناء الحركة التشكيلية واستقلال فنانينها بجهودهم الشخصية والابتعاد عن نطاق المألوف أو التقليد بمعنى أدق.

أجد أن الحركة الفنية في السعودية ستتقدم سريعاً وأنا متفائل بذلك لوجود الاهتمام ووجود صالات للعرض وللأسف أنني لم اطلع على منجزات الفنانين الذين يتقدمون في أعمالهم الفنية، وكم أرغب بالاطلاع المباشر من خلال حضور افتتاحات المعارض الشخصية أو الجماعية منها ولكن بحكم بعدي عن المنطقة العربية وصعوبة تنقلي حدّت من مواكبتي لتطور الحركة التشكيلية في المملكة. على الرغم من هذا فأنا مطلع عن طريق مواقع الإنترنت والمقالات واللقاءات التي تنشر في الصحافة العربية.

الآن كيف تراه؟

- كما ذكرت مسبقاً الفن السعودي وليس التشكيلي فحسب وإنما مجملاً هو في حركة تقدم مستمرة، وأنا متفائل خيراً بأن النهج لو استمر على هذا النحو ستكون هناك منافسة قوية بين الفنانين لتقديم الأفضل والمميز، والمتلقي يهتم لهذه النقطة جداً. وأيضاً ربما لا تحضرني أسماء كثيرة الآن وأتأسف على ذلك لكن ما يحضر في ذاكرتي بأنني أطالع إنتاجات الفنان السعودي زمان جاسم، الفنان عبدالرحمن السلمان، د. عبدالحليم رضوي.. وأنا متأكد هناك أسماء لامعة حالياً في الساحة السعودية لا تحضرني أسماؤهم حالياً ولكن حتماً سأشيد بمنجزهم في المستقبل القريب لو أتيحت الفرصة لي بالطبع.

بعد أن غادرت السعودية إلى أين انتقلت وما أثر هذا التنقل من بلد إلى آخر على أعمالك الفنية من ناحية الأساليب والرؤى؟

- بعد أن أنهيت عملي في المملكة العربية السعودية قمت بجولة سياحية إلى مصر، حيث اطلعت على المتحف المصري وغُمرت بسعادة كبيرة لأنني شاهدت الفن بكامل مزاياه من خلال المتحف المصري، حيث التمست الفن الحقيقي واطلعت على متحف اللوفر في باريس الذي يجمع كنوز الفن والروائع العالمية المدهشة حقاً.

بعدها انتقلت إلى إسبانيا، حيث حاولت أن أكمل دراستي في أكاديمية (سان فرناندو) ولكن حينها لم أجد الدافع المعنوي والنفسي للاستمرار وبالرغم من ذلك واصلت رحلة الاستكشاف الفنية، حيث انطلقت من بعدها إلى مشاهد أعمال فنية رائدة لأسماء لامعة في الفن الإسباني والعالمي معاً وتحديداً في متحف (البرادو) في مدريد، حيث يحتوي هذا المتحف على أعمال الفنان (كويا) وأعمال للفنان (فيلاسكز)، ثم أنهيت رحلتي تلك عائداً إلى لبنان ومن بعد ذلك رجعت إلى وطني العراق.

أما من حيث الأساليب والرؤى الفنية فإن الفن في هذه البلدان المزدهرة يحترم جميع المدارس الفنية وأساليب الإبداع المتنوعة التي لا يمكنك الوقوف عند مرحلة أو مدرسة فنية بحد ذاتها، فهناك المدارس الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والسريالية والانطباعية لذلك على الفنان أن يجد نفسه من خلال تربتهِ وتراثه الوطني.

ولهذا السبب عندما رجعت إلى العراق قمت بدراسة شاملة وموسعة عن الأعمال الأشورية والسومرية، كما رسمت مجموعة من الأعمال الفنية والتي أسميتها (المغول في بغداد) بأسلوب تجريدي يميل إلى التكعيبية وبعدها استمر عملي الفني ومشاركاتي في معظم المعارض الفنية في العراق.

ما انطباعك عن الحركة التشكيلية في العالم العربي؟

- الحركة التشكيلية في العالم العربي بدأت تنشط بشكل ملحوظ وبدأ الفنان العربي يتحرك نحو العالمية بالرغم من الصعوبات التي يلاقيها في إقامة معارضه والمشاركة المستمرة في أوروبا وأمريكا، وللأسف الشديد ظل الفنان العربي رهين التقنيات البسيطة بينما بإمكانه أن ينفذ أعماله بتقنيات العالم المتقدم.